الأسباب التي تعود إلى الحبشة

أولاً: نفوذ الكنيسة الحبشية:

إن للكنيسة الحبشية نفوذاً قوياً من أقدم العصور وحتى عصرنا الحاضر كان ذلك ظاهراً في عهد النجاشي رحمه الله تعالى، فقد مر بنا سابقاً موقف القساوسة وتشددهم على النجاشي وغضبهم بسبب المواقف الإيجابية للنجاشي. ولولا لطف الله عز وجل لأدى ذلك إلى عاقبة وخيمة.

وأما قوة الكنيسة في العصر الحديث فيكفي دلالة على ذلك ما حدث بين رجالها وبين الملك المسلم الذي حكم الحبشة بضع سنوات، فعندما تولى عرش الأمبراطورية الأثيوبية ملك مسلم وهو «ليج ياسو» عام ١٩١٣ م بطريقة وراثية وأعلن إسلامه ثارت ضده الكنيسة التي وجدت كل عون ودعم من الدول الأوروبية التي تآمرت مع مطران الكنيسة ضد الملك المسلم[1] ولعل هذا الموقف يذكرنا موقف القساوسة من إسلام النجاشي فإذا علمنا هذا النفوذ القوي لرجال الكنيسة، وعلمنا أن الحبشة لم تتعرض لغزو مباشر من المسلمين في صدر الإسلام بالإضافة إلى حقد هؤلاء وعدم تسامحهم مع الخصم وتلك صفة ملازمة لرجال الكنيسة أينما وجدوا فإننا لا نستغرب التباطؤ لسير الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام في الحبشة انتشاراً يختلف عن مناطق كثيرة في العالم.

---

(١) الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي للمؤلف، ص ٢٢٦، ط. الأولى عام ١٤٠٥ هـ، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض.

ثانياً: طبيعة الأرض:

إن مقر ملوك الحبشة في تلك الأزمان كان في منطقة تجري الحالية المعروف «أكسوم» وهي منطقة جبلية وعرة تحيطها الجبال وهي شبه مغلقة ومحصنة كما أن البحر حاجز طبيعي بين الجزيرة العربية ومقر ملوك الحبشة في تلك العهود.

وإذا تتبعت اليوم نسبة المسلمين في الحبشة فإنك تجد المناطق الجبلية المحاذية للبحر الأحمر أقل المناطق إسلاماً[1]، بينما هي أقدم المناطق من حيث دخول الإسلام فيها، لكون الصحابة قد استقروا في نهاية المطاف في هذه البقعة، وكان من المفترض أن تتحول إلى قاعدة للإسلام تغذي بقية المناطق الأخرى. ولعل تلك الأسباب التي ذكرناها آنفاً هي التي حالت دون تحقيق هذا الهدف المنشود.

والذي يرجح هذا الأمر هو كون الإسلام نجده في السهول والأراضي المبسوطة التي تحيط بالأمبراطورية الحبشية من الشرق والجنوب والغرب حقق نجاحاً كبيراً، فعلى سبيل المثال عندما زحف الإسلام من السواحل الصومالية من مدينة زيلغ وبربرة في شمال الصومال تجاه الغرب فإنه انتصر على الوثنيين والنصارى على حد سواء في الأراضي الواطئة السهلة، فملوك الحبشة كانوا يحتمون في المناطق الجبلية كلما ضاقت عليهم السبل وأعيتهم الحيل في أكسوم وحواليها إلا أن انتشاره الواسع وتكوّن إماراته الإسلامية كانت على امتداد الساحل ابتداء من السواحل الأريترية على البحر الأحمر وحتى سواحل الصومال الجنوبية على المحيط الهندي.

ومن الساحل الصومالي توغل الإسلام إلى أعماق أفريقيا الشرقية وعلى

---

(١) لقد نشر الإسلام في طول المناطق الساحلية ابتداء من السواحل الأرتيرية التي تفصل بين مقر ملوك الحبشة آنذاك وبين البحر الأحمر وانتهاء إلى أقصى جنوب الصومال، بينما ظلت المناطق الداخلية في عزلة نسبية، ولم يتمكن الإسلام من التوسع والانتشار فيها حتى القرن السادس عشر الميلادي أثناء حكم الإمام المجاهد أحمد بن إبراهيم الأعسر.

الأخص إلى المناطق الواقعة حالياً جنوب أثيوبيا، مثل منطقة «بالي» و «سبداما» وغيرهما.

وخلاصة القول: إن الأسباب المذكورة هي عقبات أعاقت سير الدعوة الإسلامية، وعرقلت توسعها، أو حالت دون انتشاره سريعاً في أراضي الحبشة ردحاً من الزمن، إن هذه الأسباب حالت بينه وبين انطلاقته الكبرى، ولا غرابة بالأمر بهذه الأسباب أو بغيرها لأن الأمر بيد الله عز وجل وهو مسبب الأسباب وهو على كل شيء قدير.

ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى غير هذه لم تظهر لي حتى الآن لأن الذي أقوله هنا هو الظن الراجح عندي والعلم عند الله عز وجل.

ورغم كل ذلك فإن الإسلام الذي دخل في تلك الأراضي بعد أربع سنوات فقط من البعثة النبوية ظل ثابتاً هناك ولم ينحسر عنها أبداً، بل ازداد رسوخاً وقوة سنة بعد أخرى وقرناً بعد آخر، وانتعش المسلمون في هذه الأرض انتعاشاً كبيراً بعد قرن واحد من دخول الإسلام عندما تدفق عليهم مهاجرون جدد من الجزيرة العربية، كما أن السفن التجارية أصبحت عاملاً مساعداً لتقوية الروابط بين الساحلين، حتى أصبح الساحل الغربي للبحر الأحمر ساحلاً إسلامياً يفصل بين مملكة أكسوم وبين البحر الأحمر، وبموجب هذا تكونت الإمارات الإسلامية على طول ذلك الساحل وعظم شأنها فيما بعد.

وانطلاقاً من هذا فإننا لا نجد دليلاً واحداً يدل على عدم وجود مسلمين في الحبشة بعد عودة المهاجرين منها، أو بعد موت النجاشي رحمه الله تعالى، واليقين الذي لا يقبل الشك هو دخول الإسلام في الحبشة وتشمل المنطقة المعروفة اليوم بالقرن الأفريقي «قبل الهجرة إلى المدينة وليس عندنا ما يبطل ذلك أو يضعف أو يقاوم، وهذا هو الثابت، واليقين لا يبطل بالشك».

فخلاصة القول: إن هذه الهجرة كانت الشعاع الذي أضاء القارة الإفريقية بمصابيح الهدى، وهي أساس الإسلام فيها، فما زالت آثارها تنمو وتتفاعل حتى قامت للإسلام دول وإمارات عظم شأنها حيث أصبحت فيما بعد من قلاع الإسلام وحصونه.

وعلى هذا فإن المهاجرين هم الفاتحون الحقيقيون، والمسلمون في إفريقيا يقتاتون اليوم من مزرعة المهاجرين، ويستظلون تحت ظل الأشجار التي غرسوها في شرقي القارة. ولله الحمد والمنّة دائماً وأبداً. والله أعلم.